بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَّفَ الْوُجُودَ بِمِيلادِ أَعْظَمِ مَوْلُودٍ، وَمَنَّ عَلَى الْعَالَمِينَ بِإِيجَادِ أَشْرَفِ مَوْجُودٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ اللَّطِيفُ الْوَدُودُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ أَعْظَمُ النَّاسِ إِيمَانًا، وَأَكْثَرُهُمْ لِخَلْقِ اللهِ إِحْسَانًا، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الرُّكَّعِ السُّجُودِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، فَمَنِ اتَّقَاهُ وَفَّقَهُ لِلْخَيْرِ، وَدَفَعَ عَنْهُ كُلَّ شَرٍّ وَضَيْرٍ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[١].

عِبَادَ اللهِ:

مَنْ تَدَبَّرَ كِتَابَ اللهِ وَجَدَ أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ رَفَعَ ذِكْرَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَحَسْبُنَا أَنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ، وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ، ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ، وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾[٢]، وَقَدْ يَكُونُ شَرْحُ صَدْرِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ جَعْلَهُ وَاسِعًا يَسَعُ الْعَالَمِينَ؛ فَوَسِعَ قَلْبُهُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَالْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَالرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ، وَمَا مِنْ إِنْسَانٍ دَرَسَ سيرَتَهُ دِرَاسَةَ إِنْصَافٍ إِلاَّ قَادَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى التَّسْلِيمِ لِمَكَانَتِهِ، وَالاعْتِرَافِ بِمَنْزِلَتِهِ؛ فَصَدَقَ فِيهِ قَوْلُ رَبِّهِ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٣]، وَاسْتَحَقَّ بِذَلِكَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ وَضْعَ الأَثْقَالِ الَّتِي لا يُطِيقُهَا الإِنْسَانُ، وَاسْتَوْجَبَ رَفْعَ الذِّكْرِ مِنَ اللهِ؛ وَانْعَكَسَ رَفْعُ ذِكْرِهِ فِي الأَرْضِ؛ فَلا تَمْضِي لَحْظَةٌ مِنَ اللَّحَظَاتِ وَلا وَقْتٌ مِنَ الأَوْقَاتِ إِلاَّ وَتَشْرُفُ الْقُلُوبُ بِذِكْرِهِ، وَتَتَعَطَّرُ الأَلْسِنَةُ بِجَرَيَانِ اسْمِهِ، وَتَسْتَرِيحُ النُّفُوسُ بِذِكْرِ شَمَائِلِهِ، وَزَادَهُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ مُكَافَأَةً بَعْدَ مُكَافَأَةٍ، وَجَائِزَةً بَعْدَ جَائِزَةٍ؛ فَيَسَّرَ عَلَيْهِ كُلَّ عَسِيرٍ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ كُلَّ صَعْبٍ، وَفَتَحَ لَهُ مَغَالِيقَ الأَبْوَابِ؛ فَكَانَتْ لَهُ

(١) سورة الحديد/ ٢٨.
(٢) سورة الشرح/ ١ – ٤.
(٣) سورة الأنبياء/ ١٠٧.

الْبُشْرَى مِنَ اللهِ ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[١].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُعَلِّمُنَا فِي سُورَةِ الشَّرْحِ أَنَّ مِنْ تَمَامِ التَّوْفِيقِ الاسْتِمْرَارَ فِي الْعَمَلِ، وَنَفْضَ غُبَارِ الْكَسَلِ؛ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمُوَفَّقِينَ أَنْ يَقِفَ بِهِمْ قِطَارُ عَمَلِ الْخَيْرِ عِنْدَ حَدٍّ، أَوْ يَرْكَنُوا إِلَى الدَّعَةِ بَعْدَ الْجِدِّ، بَلْ شَأْنُهُمْ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[٢]، وَغَايَتُهُمْ ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[٣]، فَتَجِدُهُمْ يَرْتَفِعُونَ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ، وَيَصْعَدُونَ مَنْزِلَةً بَعْدَ مَنْزِلَةٍ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ لِنَبِيِّهِ ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ، وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾[٤] نَعَمْ، إِذَا فَرَغْتَ مِنْ عَمَلِ خَيْرٍ فَانْتَقِلْ إِلَى عَمَلِ خَيْرٍ؛ رَاغِبًا بِذَلِكَ فِيمَا عِنْدَ اللهِ ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[٥].

عِبَادَ اللهِ:

لَقَدْ وَصَفَ اللهُ نَبِيَّهُ بِصِفَاتٍ تَدْعُو الْعَاقِلَ إِلَى التَّأَمُّلِ فِيهَا، وَتَحْمِلُ الْكَيِّسَ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهَا، فَلْنَتَدَبَّرْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ قَوْلَ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٦]، فَالرَّسُولُ الْكَرِيمُ مِنْ أَنْفُسِنَا، يَجْرِي عَلَيْهِ مَا يَجْرِي عَلَى الْمَخْلُوقِينَ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ يُحْزِنُهُ الْقَوْلُ الْمُؤْذِي وَيَضِيقُ صَدْرُهُ بِهِ، وَلَكِنَّهُ يَصْبِرُ فِي اللهِ، وَيُقَابِلُ سُوءَ الْقَوْلِ بِالْحَسَنِ مِنَ الْقَوْلِ مُحَقِّقًا قَوْلَ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾[٧]، فَكَانَ بِذَلِكَ مِنَ الَّذِينَ صَبَرُوا، وَكَانَ بِذَلِكَ مِنْ

(١) سورة الشرح/ ٥ – ٦ .
(٢) سورة الأنبياء/ ٩٠.
(٣) سورة الحجر/ ٩٩.
(٤) سورة الشرح/ ٧ – ٨.
(٥) سورة الشورى/ ٣٦.
(٦) سورة التوبة/ ١٢٨.
(٧) سورة فصلت/٣٤.

أَصْحَابِ الْحَظِّ الْعَظِيمِ ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[١]، وَلَمَّا كَانَ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَيَجْرِي عَلَيْهِ مَا يَجْرِي عَلَيْنَا جُعِلَ لَنَا أُسْوَةً حَسَنَةً؛ لِنَسْلُكَ مَسْلَكَهُ، وَنَسِيرَ فِي دَرْبِهِ؛ فَنَصِلَ مَنْ قَطَعَنَا، وَنُعْطِيَ مَنْ حَرَمَنَا، وَنَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنَا، وَنُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا، وَلَعَمْرُ اللهِ إِنَّ مَنْ حَمَلَتْهُ نَفْسُهُ عَلَى هَذَا الْخُلُقِ قَدْ وُفِّقَ لِلتَّأَسِّي بِالرَّسُولِ الْكَرِيمِ، وَأَخَذَ بِحَظٍّ مِنْ ذَلِكَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٢] .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ مِنْ تَجَلِّيَاتِ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِرْصَهُ عَلَيْنَا؛ فَكَانَتْ شَرِيعَتُهُ حَامِلَةً لِكُلِّ يَسِيرٍ، مُتَجَافِيَةً عَنْ كُلِّ عَسِيرٍ؛ مُتَحَقِّقًا فِيهَا قَوْلُ اللهِ ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[٣]، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[٤]، وَوَجَّهَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ نِدَاءَهُ لِلإِنْسَانِيَّةِ: (يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، بَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا) وَكَانَتْ رِسَالَتُهُ بَعِيدَةً عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ عَنَتٌ، مُتَرَفِّعَةً عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ مَشَقَّةٌ؛ فَكَانَ كَمَا وَصَفَهُ رَبُّهُ ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾[٥]، وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ رَحْمَتُهُ بِالنَّاسِ؛ إِنَّهَا رَحْمَةُ وَالِدٍ بِوَلَدِهِ، بَلْ هِيَ أَعْظَمُ؛ فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ رَبُّهُ: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٦]، وَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ: (أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

***** ***** *****

(١) سورة فصلت/٣٥.
(٢) سورة الأحزاب/ ٢١.
(٣) سورة الحج/ ٧٨.
(٤) سورة البقرة/ ١٨٥.
(٥) سورة التوبة/ ١٢٨.
(٦) سورة التوبة/ ١٢٨.

الْحَمْدُ للهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ تَحْقِيقِ حُبِّنَا لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ غَرْسَ حُبِّهِ فِي نُفُوسِ أَوْلادِنَا. وَإِنَّ مِنْ وَسَائِلِ ذَلِكَ ذِكْرَ شَمَائِلِهِ، وَالتَّذْكِيرَ بِمَوَاقِفِهِ، وَمَا أَكْثَرَ مَوَاقِفَهُ! وَمَا أَجَلَّ مَشَاهِدَهُ! فَإِنَّ لَهُ مَوَاقِفَ فِي تَوْقِيرِ الْكَبِيرِ، وَاحْتِرَامِ الصَّغِيرِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْفَقِيرِ، وَرِعَايَةِ الْمُحْتَاجِ، وَتَعْلِيمِ النَّاسِ، وَإِنَّ لَهُ مَوَاقِفَ فِي التَّعَامُلِ مَعَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ وَعَادَاهُ، وَلا عَجَبَ؛ فَإِنَّهُ رَحْمَةُ اللهِ لِلْعَالَمِينَ. وَمِنْ وَسَائِلِ غَرْسِ مَحَبَّتِهِ فِي قُلُوبِنَا وَقُلُوبِ أَوْلادِنَا اسْتِحْضَارُ تَوَاضُعِهِ وَمُشَارَكَتِهِ النَّاسَ فِي مُجْتَمَعِهِ فِي أَفْرَاحِهِمْ وَأَحْزَانِهِمْ، وَآلامِهِمْ وَآمَالِهِمْ؛ فَتَجِدُهُ قَدْ تَرَكَ أَثَرًا حَسَنًا فِي قَلْبِ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ، وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ، وَالرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، بَلْ إِنَّ اتِّبَاعَنَا لِهَدْيِهِ، وَالتَّخَلُّقَ بِخُلُقِهِ، مِنْ أَعْظَمِ دَلائِلِ مَحَبَّتِنَا للهِ وَرَسُولِهِ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، وَإِنَّ التَّخَلُّقَ بِخُلُقِهِ مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ التَّعْرِيفِ بِالنَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَأَنْجَحِ طُرُقِ بَيَانِ شَمَائِلِهِ الْغَرَّاءِ لِلْعَالَمِينَ.

هذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[2].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

(١) سورة آل عمران/ ٣١.

(٢) سورة الأحزاب/ ٥٦.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِكَ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.